

حديث صحفي
أدلى به جلالة الملك
لرئيس تحرير الجريدة الفرنسية لافوا دي نور (صوت الشمال)

س — انكم رجل اوتبط مصيره بالسنة التي تنتهي، فخلال 13 شهر نجوتم بمعجزة من اعتدائين : فبعد مؤامرة الصخيرات في يوليوز 1971 التي بدت لكم — على ما يظهر — كسنة «كاشفة» صرحتم قائلين : «سأغير بعض الشيء طريقة الحكم»، فهل يمكن لي أن أسألكم في أي اتجاه قمتم بهذا التغيير ؟

ج — لقد كنت أرغب في أن لا أكون في نظر جزء من الرأي العام موضع اهتمام معتل. ويجب أن نتيقن بأن الرأي العام في عصرنا يميل الى السذاجة، وإن الأشياء المثيرة تجد زبناء أكثر مما تجدها الأشياء المعقولة. إنه مظهر لحياة القرن العشرين، وإنه لمن المحقق أن في الامكان تقرير تغيير كثير من الأشياء لكن يجب أن يبدأ التغيير بالشخص نفسه، وإن التغيير الجذري الذي أتمناه هو التغيير الذي يتم على مراحل في العقول وفي الجماعات وفي الادارة نفسها، ويجب أن لا يغفل المرء أنه ليس في الامكان تغيير الروتين الاداري في ظرف بضعة شهور، إنه عمل يتطلب العمل الطويل، ذلك أن للناس عاداتهم وطريقة عيشهم، ومع ذلك فإن أشياء كثيرة قد أنجزت خصوصاً في ميدان إصلاح الادارة، فلم يعد هناك مستثمرون يمكن لهم أن يدعوا أنهم كانوا محل «توسل» أو أن ملفاتهم بقيت حبراً على ورق في انتظار حل قلت أو كثرت وجاهته .

سباق ضد الساعة

س — في خطابكم بتاريخ 19 نوفمبر أثناء تشكيل حكومتكم الجديدة ذكرتم بتصريح لوالدكم يقول : «ان أفضل نظام يلائم المغرب هو نظام ملكية دستورية» وأضفتم أنه في ظل هذه الملكية لن يكون هناك مكان للديكتاتورية ولا لحزب وحيد، هذا هو الرهان الذي قررتم أن تفوزوا فيه وهو «رهان صعب» كما ذكرتم ذلك بأنفسهم، وبما أنكم سيد الموقف فما هي الأوراق التي تعتمدون عليها في الفوز بالمعركة، وما هي أخطار الفشل ؟

ج — ليس هناك في الميدان السياسي فشل مطلق، فلا يمكن القول بأن نظاما خسر خسراناً مطلقاً، فالفشل نسبي، لقد انطلقنا في سباق ضد الساعة على صعيد التنمية، والخطأ أن لا يدرك هؤلاء أو أولئك أن عددنا غير كاف لخوض المعركة، والأوراق الرابحة التي أتوفر عليها ليست شيئا آخر غير تلك التي يمنحها لي الدستور، إنني لا أتوفر على سلطات أكثر من تلك التي يتوفر عليها رئيس الجمهورية الفرنسية مع فرق ضئيل، ومن المحقق أن القطار سيسير، وأتمنى أن يمتطيه أكثر عدد من الناس .

س — لقد كلفتم حكومتكم بإعداد انتخابات نزيهة لتتيح لكم التوفر على الممثلين الحقيقيين للأمة كمحاورين، لكن خصوم سياستكم رفضوا لحد الآن عرضكم بالتعاون على هذا الهدف، فكيف تفسرون موقفهم ؟

ج — يجب طبعاً أن يحدد الناس موقفهم عندما تجري الانتخابات، فهل ترغب الأحزاب في المساهمة فيها ؟ وإذا لم تساهم فيها فإنها ستقصي نفسها من اللعبة؛ ومع ذلك فإنني لا أقول بقانون الأكثرية، إذ ليس يعني أننا إذا كنا أكثر عدداً فإننا أفضل، والدستور لا يفرض أخذ مجموع الحكومة من الأغلبية، وتسألونني

لماذا لا تساهم الأحزاب ؟ وإنه لمن الصعب علي أن أقوم بالتحليل النفسي، وليس في استطاعتي أن أفسر لكم مقاصدها أو أهدافها العميقة، وأعتقد شخصيا أنها ستعود إليها. وإلا فإن نظرية الحزب السياسي لن تعود صالحة آنذاك، إنه لا يمكن رفض معركة رفضاً مطلقا لمجرد التفكير أنها ستكون مزيفة .

س ــ هل يمكن لأحزاب المعارضة أن تعبر بحرية عن وجهة نظرها بواسطة الاذاعة التي تعد في بلادكم الوسيلة الوحيدة للأخبار التي يمكن أن تصل الى الجماهير ؟

ج ــ من المحقق أنه في حالة ما إذا كانت الحملة الانتخابية ستجري في إطار المؤسسات الدستورية، فإنني من أنصار المناقشات المفتوحة أمام الاذاعة والتلفزة على شرط أن تحترم اللعبة، إنني لست من أولئك الذين يريدون إعطاء وسيلة التعبير للبعض وحرمان الآخرين منها، يجب التوفر على حظوظ متساوية للجميع .

ج ــ إن الجماهير الصامتة في المغرب ــ والبعض يسميها بالجماهير اللامبالية ــ تتكون أساساً من سكان البوادي أللذين لم يتخلص من الأمية إلا جزء قليل منهم، والذين ليسوا مسيسين، ويبدو أنهم إذن في معزل عن التيارات الأكثر نجاعة، ومن بين هذه التيارات يمكن أن نعتبر أن هناك على الخصوص الأحزاب والنقابات والطلبة والمعلمين، فمن هم الذين يضعون عليكم مشاكل أكثر ؟ وأين توجد القوات الحية للأمة ؟

ج ــ إن القوات الحية للأمة تتكون من أولئك الذين يبذلون مجهودا مع أنفسهم، ويتوصلون الى القيام بتحليل موضوعي للوضع، ويقبلون الكفاح لكي تصبح النتيجة أفضل، إن القوات الحية ليست دائما هي القوات المثقفة أو المعجبون بعضلاتهم، إنهم أولئك الذين يتوفرون على الانعكاس الوطني، إننا نعتبر أن الشعور الوطني يجب أن يتغلب على كل اعتبار آخر .

إن الذي يسبب لي مشاكل أكثر هو تنوع كل هؤلاء الناس الذين أجدهم أمامي، هناك شركة تجزأت الى ثلاث مجموعات صغيرة من المساهمين لكنني من أولئك الذين يحبون الحوار مع مجموع المجلس الاداري .

س ــ مر ما يقرب من أربعة أشهر على مؤامرة شهر غشت، ولقد صرحتم أنذاك للصحفيين أنكم تشعرون بالافراط في المراعاة وأنكم ستقومون بمراجعة الجيش، فهل ليس من السر أن نسألكم عن النتائج التي أسفرت عنها تحليلاتكم ؟

ج ــ إنه لا يمكن اعتبار أن الجيش ساهم في الأحداث التي ذكرتم بها، فأثناء التمردات في الجزائر لم توجه التهمة مطلقاً الى الجيش الذي كان يتكون أنذاك من 400.000 جندي، ولا أرى كيف يمكن اتهام الجيش المغربي بينما لم يكن الأمر يتعلق في الصخيرات سوى ب 1.200 رجل فقط من مجموع 60.000 رجل .

أما فيما يتعلق بالاعتداء على البوينك فيستنتج من تصريحات امقران في المحاكمة أن وفقير قد يكون قال له بأن كل الجيش متواطىء، لكن بعدما قام بجولة على متن طائرة هيليكوبتير تيقن أن ذلك كان كذباً.

لقد اندهش كامل الاندهاش وهو يحلق فوق الرباط من عدم رؤية العاصمة محتلة من طرف المصفحات، كما اندهش عندما أشعل الراديو فسمع الموسيقى الخفيفة لا الموسيقى العسكرية، وهذا ما دفعه الى البحث عن ملجإ في جبل طارق، إن الجيش لم يخن مهمته في أي وقت من الأوقات. ولايغيب عن ذهنكم أن الأمر يتعلق بستين ألف رجل يوجدون في الأركان الأربعة للمملكة من طنطن الى طنجة، ومن الدار البيضاء الى وجدة .

نعم، لقد قمت بمراجعة الجيش. والحقيقة أنه لا شيء أصعب من تنظيم جيش والمحافظة عليه في عصر السلام، إن الاطارات التي تتجاوز 45 سنة جاءت كلها من الجيش الفرنسي و لم تعرف السلام منذ سنة 1940. ومن جهة أخرى كان يراد الابقاء على الجيش بعيدا عن التيارات السياسية وبالأخص عن المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والنقابية .

وبذلك أعطي للضباط الاحساس بأن في إمكانهم الاشتغال بالسياسة ولكن بصفة سريعة. وقد أحس البعض منهم ــ وقد بقوا على الهامش ــ أن في ذلك تقليلا من قيمتهم وهكذا وقع في الجيش ما وقع في الادارة، لقد أخذنا التنظيمات العسكرية عن الجيش الفرنسي ونسينا أن نغيرها بينما كانت قد عدلت في فرنسا في غضون ذلك، وهناك أيضا المشاكل المادية والرواتب والتعويضات، كل ذلك قد سوي في أحسن الأحوال، ولقد كان من الواجب على الخصوص أن يهتم الجيش بنفسه لكي يكون الضباط فخورين بانتمائهم الى هذه العائلة .

إننا نحاول التغلب على العقبة، وعلينا أن نحارب الروتين، علينا أن نعيد تكوين الضابط حتى إذا انتهت فترة تجنيده دخل الحياة المدنية، ومن الآن فإن الضباط الذين سيتخرجون من الأكاديمية سيكون لهم ما يعادل السنة الثانية من الحقوق أو في العلوم أو في الطب، وإذا كانوا لا يرغبون عند نهاية الدراسات في الالتحاق بالجيش فسيكون في استطاعتهم أن يصبحوا محامين أو أطباء وسيكون في استطاعتهم أن يظفروا بوظيفة أخرى، وننوي القيام بنفس الشيء بالنسبة لضباط الصف ولرجال الجيش، يجب أن لا يشعر العسكري أنه لايستعمل إلا في حالة «الضربة القوية» بل أن يشعر أنه ذو قيمة مزدوجة .

س ــ إن خصومكم في الداخل والخارج دون أن يطعنوا في شخصكم يعتبرون من جهة أن النظام لا يفيد الا عدداً قليلا من المحظوظين تتضاعف امتيازاتهم بدون حصر، بينما يتسع مجال الفقر، ويعتبرون من جهة أخرى بأنكم لستم على اطلاع بما يجري في البلاد. وبما أن هذين هما الاعتراضان اللذان يترددان في أغلب الأحيان، فهل لكم أن تقولوا ماذا تعتقدون ؟

ج ــ ليس كل ما قلتموه خطأ، بمعنى أنه لا يمكن لي الادعاء بأنني على اطلاع بكل ما يجري. والذي يدعي معرفة كل شيء يعد من المعجبين بأنفسهم، لكنني لا أجهل كل شيء. ومن المحقق أننا لم نقم بأي شيء لمحاولة أن نمسك بخناق أولئك الذين يتوفرون على المال لأن الطبيعة الانسانية خلقت هكذا. ومن الصعب أن نقول للناس : «ستعيد كل ما أخذته» خصوصاً عندما يكون أغلبهم ذوي قرابة متينة إما بالدم أو بالصداقة أو بالتحالف مع أولئك الذين يكتبون بأن هناك فقراً يزداد أكثر فأكثر .

النظام ليبيرالي

وإذا نظرنا الى شبكات النقل الكبرى والى شركات الأشغال العمومية الكبرى في الخارج نجد دائما نفس الأشخاص وهم في نفس المجموعة، وارجو منهم إذن أن لا يذهبوا الى أبعد من اللازم .

أما فيما يتعلق بالنظام فبالامكان ملاحظة أنه ليبيرالي. لقد مرت حتى الآن أربعة أشهر منذ أن هوجمت طائرتي والمتهمون ما يزالون على قيد الحياة، وأقول لكل هؤلاء السادة في الخارج الذين ينادون باليسارية : «اذهبوا الى أقطار اليسار وانظروا ما إذا كانت قد مرت أربعة أشهر بعد أي اعتداء على رئيس الدولة والمتهمون بقوا على قيد الحياة» .

س ــ في خطابكم بتاريخ 19 نوفمبر عددتم بعض «المشاكل الحقيقية» التي توضع على المغرب، وعندما تحدثتم بالخصوص عن الفلاحة التي تمثل 80 بالمئة من الثروة الوطنية كشفتم بأن هناك فرقا شاسعا بين أولئك الذين يملكون آلاف الهكتارات وأولئك الذين حرموا منها وصرحتم بأنكم مناصرون للتعاونيات .

فما هي الصعوبات التي يواجهها هذ الانجاز ؟

ج ــ إنها صعوبات ذات طابعين : مادية وإنسانية ولكي تكون هناك تعاونيات يجب أن يكون هناك متعاونون ثم يجب اعداد دائرة سقوية، كفيلة بأن تستغل .

مشاكل التعاونيات

وأخيراً يجب التوفر على إطارات، فلا وجود للتعاونية إلا بوجود من يسيرها وبوجود أعضائها وبوجود المحاسب والسكرتير ويجب على الخصوص أن تكون للناس عقلية التعاون. وهذا ما لا نتوفر عليه الى حد ما وإنها لظاهرة بارزة في حوض البحر الأبيض المتوسط، إنني مناصر للتعاونيات لكن للتعاونيات غير المجزأة، ولكي تكون أية تعاونية قابلة للعيش يجب أن تتوفر على الأقل على 3.000 هكتار، ولا يمكن أن ننطلق الا بمثل ذلك .

س ــ ما يزال على ما اعتقد 90.000 فرنسي في المغرب. وهناك من جهة أخرى أكثر من 150.000 مغربي يعملون في فرنسا (منهم ما يقرب من 20.000 في منطقة شمال بادو كالي وحدها) .

فما هو رأيكم في التعاون بين بلدينا، وفي أي ميدان ترغبون في أن يتحسن ؟

التعاون الفرنسي : نفضل الكيف لا الكم

ج ــ في ميدان التعاون نحن في حاجة الى القيمة الفرنسية بدلا من الكمية. لقد خيبوا ظننا كثيراً في الشهور الأخيرة على صعيد المعلمين لقد أعطونا معلمين «مشاكل» وجهوا نداءات الى الاضراب، وقد تلقينا أيضاً أساتذة من المجندين الذين يعتبرون مقامهم في المغرب كعطلة لأنهم لايقضون فيه سوى سنتين. إننا نتشبث بهذا التعاون الفرنسي لأننا من أنصار الازدواجية، فالذي لا يعرف في عصرنا سوى لغة واحدة يعتبر أميا، ونرغب أن تكون اللغة الفرنسية بالنسبة لنا كلغة دافعة، لكننا نفضل أن نتوفر على مكونين يتركون أثارهم على أجيال متعددة عوضا عن مجموعات لاتتلاءم مع الظروف الاجتماعية المغربية .

س ــ أنتم الآن رئيس لمنظمة الوحدة الافريقية فما هو الدور الذي يمكن لهذه المنظمة أن تلعبه لمساعدة الأقطار الافريقية لتقوم بانطلاقتها الاقتصادية. وقبل ذلك لحل مشاكل تضخم السكان ؟ وفي نفس المعنى ماذا يمكن لافريقيا أن تنتظره من أوربا التي توجد في طريق التشييد ؟.

الأفارقة نضجوا كثيراً

ج ــ لقد حضرت عدة مؤتمرات لمنظمة الوحدة الافريقية، ولقد نضج الأفارقة كثيرا، وهم الآن أكثر انسجاماً مع الواقع الافريقي. فلم تعد الآن في إفريقيا نزاعات لا يمكن حسمها بين إفريقيا «الرزينة» وإفريقيا «الثورية». ويجب على إفريقيا أن تفكر في وضع تخطيطات للتنمية الاقليمية في حدود ما إذا كانت مشاكل الطقس لدى البعض هي نفس مشاكل البعض الآخر ومشاكل الرعي مشتركة وحيث توجد البلدان متاخمة لنفس الأنهار

الكبرى الى غير ذلك. والواقع أنه لا يوجد تضخم في السكان لكن يوجد نقص في السكان، والحقيقة أن الانسان الافريقي لا يتغذى بما فيه الكفاية ولا يعالج معالجة كافية، لكن إذا وضع في مأمن من الجوع ومن المرض، فإنه سيتحول .

إن إفريقيا لم تصل بعد الى استغلال إمكانياتها وهي أبعد من أن تستنفد مواردها المعدنية والفلاحية. ومن مصلحة أوربا أن تلعب دوراً في مستقبل إفريقيا، ذلك أنه سيصل وقت تصبح فيه أوربا مهددة بسوء هضم الغنى ولن يبقى الأفارقة محترمين دائما للعقود التي أبرمت منذ عشر سنوات إزاء الدول الكبرى، وما حدث بالنسبة للبترول يمكن أن يحدث في ميادين أخرى .

نحو أروبا ستتجه افريقيا

إن أوربا هي من بين جميع القارات التي حاربناها أكثر وعرفناها أكثر، وكم يحلو للمرء أن يحارب وتبقى الصداقة دائمة، ومن الناحية السياسية والعاطفية فنحو أوربا تتجه إفريقيا .

إن أوربا ذات الدول التسع لتقدم إمكانيات ضخمة على صعيد المبادلات ويجب أن تجعل من إفريقيا لا مورداً للمواد الأولية بأثمان زهيدة، ولكن أن ترى فيها متعاملا صغيراً ذا قدرات متعامل كبير .

عدم الانحياز : سياسة المغرب

س — لقد استقبلتم عدة سفراء وبهذه المناسبة ظهر من جديد أن سياسة المغرب تعتمد على التفاهم الطيب مع جميع الأقطار كيفما كان نظامها، إنها سياسة عدم الانحياز لكن هناك مع ذلك استثناء هام يتعلق باسرائيل، فكيف تعالجون القضية الفلسطينية ؟

ج — لقد تحدثت كثيراً عن هذا المشكل، إن المشكل الفلسطيني هو قبل كل شي مشكل إنساني، فلا يمكن تخيل وجود أناس يعيشون بدون وطن، خصوصاً وأنه بواسطة منظار يمكن لأب أن يقول لابنه «أنظر لقد كانت دارنا توجد هناك» والفلسطينيون لا يطلبون أفضل من المساهمة في خلق دولة متعددة الأجناس ومتعددة الأديان، وإنني لعلى يقين تقريبا أن اليهود الفلسطينيين في إسرائيل، يهود أرض المسيح لن يطلبوا أفضل من ذلك، لكن الصهاينة هم الذين يمنعونهم من ذلك .

الصهيونية رجعية

إن الصهيونية تعد في القرن العشرين حركة رجعية إن الأمر هو كما لو أن الأوربيين سيبدأون غداً حرباً صليبية أو كما لو اننا نريد نحن شن حرب دينية .

فبقدر ما يمر الوقت على إيجاد تسوية لهذا المشكل يصبح الحل صعبا، ذلك أن سياسة إسرائيل هي الاتيان بأكبر عدد ممكن من الصهاينة الى فلسطين .

إنهم لا يتحدثون لغة البلاد التي هي العربية، إن يهود إسرائيل هم فلسطينيون ويتحدثون كلهم العربية، ومن الطبيعي أن لا يكون للفلسطيني أي اتصال مع يهودي استجلب من جنوب إفريقيا لا يتحدث نفس اللغة .

س — في سنة 1952 على ما أعتقد حصلتم على الديلوم من كلية بوردو وبصفتكم مشبعين بالثقافة الغربية حققتم في شخصكم خلاصة حضارتين، وهناك مغاربة آخرون كذلك. فهل تعتقدون أن هذا التأثير المزدوج يمكن له أن يحدث — كما قرأت — نوعا من ازدواجية الشخصية أو على العكس من ذلك فإن هذه العوامل المتنوعة ذات نفع كثير ؟

ج — أن يحدث ازدواج في الشخصية شيء مبالغ فيه، والواقع أنه لم يكن علي أن أبذل مجهودا كبيرا، لقد كانت لأبي غداة اعتلائه العرش رؤية عبقرية، ففي نهاية 1928 عندما علم أنه سيصبح أبا خطا أول خطوة نحو العصرية فقرر أن يقوم بتحول بنسبة 180 في المئة إزاء الطفل الطفل الذي سيولد، لقد كان لنا في ذات الوقت مربيات مغربيات كنا نقوم معهن بأداء الصلوات ومربيات فرنسيات، وكانت دروسنا بالعربية والفرنسية، وعلى المائدة لم نكن نتحدث سوى بالانجليزية، وما لا نطلبه بالانجليزية لا نحصل عليه، وفي المساء بعد العشاء نعود الى التقاليد المغربية، وهكذا فقد كان هناك دائما توازن، وإنني لأتأسف على كل أولئك الذين لم يتوفر لهم حظ الحصول على ثقافة مزدوجة، وأعتبر أن ذلك يجعل المرء متسامحا .

س — لقد صوتت الجمعية للأمم المتحدة على قرار يقترح إجراء استفتاء في الصحراء المدعوة بالاسبانية وهي الصحراء التي يطالب بها المغرب. فما هو موقفك في هذا الشأن ؟

ج — إننا من أنصار تصفية الاستعمار، والمغرب لم يخف ذلك أبداً، لقد قلت في سنة 1966 للجنرال فرانكو بأنه حان الوقت لكي تسلم إلينا الصحراء وذلك لأنني أعتبرها جزء لا يتجزأ من المغرب، لكن الجنرال لم يرغب في ذلك، وقلت له إنني سأطلب تحرير الصحراء وذلك لأننا متأكدون أنه مع تحريرها سيلتحق أبناء الأعمام بأبناء أعمامهم والاخوان باخوانهم .

س — لكي ننهي الحديث أريد أن أطرح عليكم سؤالا ذا صبغة فلسفية وروحية، فبالنسبة لكم وقد واجهتم خطر الموت مرتين في ظرف ثلاثة عشر شهراً لم تكن مواضيع الوساطات قد غابت عنكم فما هي الأفكار التي كانت مسيطرة عليكم ؟

ج — لقد كان تفكيري الأول هو أولا عمل كل ما من شأنه حتى لا يتكرر ذلك مرة ثالثة، إنها إرادة الحياة في المحافظة على الحياة، والخلاصة الميتافيزيقية هي كما يلي : إنني أعتبر دون أن أبحث عن الالتجاء الى الحق الالهي أن كل شخص — وهذا يمكن أن يصدق على أناس من دوكول الى هوشي مينه، ومن هوشي مينه الى فيديل كاسترو إن كل شخص آخذ زمام الحكم موجه لأن يفعل ذلك .

ولو كنت غير نافع لما خرجت سالما، ويجب الاعتقاد بأن مهمتي لم تنته بعد، هذا هو التفكير الذي خطر لي، إنه لاتزال هناك بعض الأشياء يجب القيام بها، بعض الأشياء الحسنة، وإن الحياة لعبارة عن اندهاش مستمر .

السبت 9 ذي القعدة 1392 — 16 دجنبر 1972